إنها رسالة للقاضي؟

عبدالرحمن آل الشيخ

ندرك كثيراً أن مهمات وصفات القضاة هي مهمات وصفات مختلفة ورفيعة عن غيرها وهذه من أهم الأمور التي اعتنى بها الإسلام ولله الحمد. ومن هذا المنطلق قرأنا وسمعنا بأن كافة الدول الإسلامية على مدى العصور الإسلامية المتتالية وفي كافة الديار الإسلامية قد اهتمت والتزمت التزاماً كبيراً بهذه الصفات من خلال طرق تعليمية شاقة ورفيعة ووضعت معايير صارمة ودقيقة في كل من ستسند إليه مسؤولية القضاء بين المسلمين؟

وفي بلادنا - وهي ولله الحمد امتداد مشرف للدول الإسلامية السالفة - فقد أولت الدولة منذ توحيدها كافة الجوانب الإسلامية جل اهتمامها وعنايتها وفي مقدمتها القضاء والقضاة وبصور لا مثيل لها.. وتجلى هذا الاهتمام وهذه العناية في صور وفي مواقف كثيرة مشهودة فعلية ومعنوية.

يأتي في مقدمة وعلى رأس هذه الاهتمامات اللقاءات الدورية التي يلتقي فيها ولاة الأمر مع كافة أصحاب الفضيلة القضاة لتفقد أمورهم والتي كان آخرها اللقاء الذي تم في محافظة الطائف يوم الأربعاء الموافق ١٦من شهر جمادى الأولى الماضي، فخلال ذلك اللقاء تشرف عدد من أصحاب الفضيلة القضاة بالسلام على صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني وذلك بمناسبة اشتراكهم في ندوة الصلح والتحكيم وهي ندوة نظمتها وزارة العدل ممثلة في رئاسة محاكم محافظة الطائف بالاشتراك مع فريق التحكيم السعودي وبمشاركة خارجية من بعض الدول العربية واختتمت هذه الندوة أعمالها في ذلك اليوم..

وخلال السلام تحدث سموه إلى هؤلاء بحديث هام وبالغ للغاية حمل في ثناياه الكثير والكثير من المعاني والأهداف يجب على القضاة خاصة وعلى غيرهم عامة بالتبصر والتفكر فيما قصده سموه الكريم. فخلال هذا اللقاء تحدث سموه وقال لهم:

-)الإسلام ما هو إلا إخلاص ووفاء.. وثاني شيء تحكيم الشريعة المحمدية.. وثالثاً الأخلاق والصدق فوق كل شيء.. لأن كل إنسان ما عنده مصداقية لا شيء..

- القضاء يا إخوان أهم شيء.. أهم شيء .. لأنه في رقابكم وأعناقكم مسؤولية كبيرة.. كبيرة.
- أنا أسمع ولا أصدق وان شاء الله لا يكون صحيحاً وجود بعض الحيف أو الرغبة أو الهوى..
- إن هذا ما يجوز أبداً.. أبداً.. فوراءكم يوم عسير .. وراءكم يوم عسير تُحاكمون فيه على كل شعرة وفي نفس الوقت خدمة دينكم.. كلكم يا أبناء الإسلام واجب عليكم أن تخدموا الإسلام بكل إخلاص وعقيدة وشفافية.
- وأقول إن الغلو نهى عنه الرب عز وجل.
- لا نريد زيادة على سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
- في أعناقكم مسؤولية تُسألون عنها يوماً ما..
- تُسألون عن كل شاردة وواردة..
- اتقوا ربكم في عقيدتكم وفي من ولاكم الله الحكم بينهم بالشريعة المحمدية.
- إن كل ما نسمع عن وجود بعض الحيف ليس وارداً إن شاء الله..

- أنتم تعرفون أن الأحكام لا بد أن يكون فيها طرف راض وآخر لا..
- وهذا شيء مفهوم ولكن أوصيكم بتقوى الله ومخافته وتحكيمكم تحكيماً عادلاً ووافياً.. لأن الشريعة المحمدية هي أساس الإسلام ولا نحيد عنها أبداً.. أبداً.. لا أهواء ولا إغراء ولا أوامر ولا شيء آخر مهما كان الأمر.. الله فوق كل شيء(..

حقيقة إنها كلمات واضحة حملت بين طياتها أكثر من معنى وأكثر من مقصد واضح وصريح؟؟ بل هي رسالة كل كلمة فيها هي بحد ذاتها تمثل رسائل أخرى لفئة من المسؤولين عهد إليهم ولي الأمر مسؤولية وأمانة إقامة وتحقيق القضاء والعدل بين الناس .. لذلك فهم يضطلعون بمهام مختلفة عن غيرهم في كل شيء يختلفون عن غيرهم في المكانة الدينية ويختلفون عن غيرهم في المكانة الاجتماعية ويتميزون عن غيرهم في المسؤوليات ويختلفون عن بقية المسؤولين وموظفي الدولة في المزايا المادية وفي نظامهم الوظيفي..

لا نسأل عن دوافع ومسببات هذه الكلمات التي أضفى بها سموه!! ولا نبحث عن الأهداف القيمة التي قصدها سموه في هذا الحديث بقدر ما نتمنى من كل قاض أن يدرك من ذاته كل الإدراك معنى وهدف وتوقيت هذه الرسالة؟؟

فهي رسالة من ولي العهد وعندما يتحدث ولي العهد بمثل هذه الكلمات وبمثل هذه النصائح أو غيرها؟ وإلى فئة مختلفة من مسؤولي الدولة فإنها كلمات لم تبن من فراغ؟؟ أو على شكوك أو تخمينات؟؟ ولكنها أيضاً تظل وتبقى كلمات تحمل عبئاً كبيراً من النصائح التي تحتاج من كافة المعنيين بها فرداً فرداً إلى مراجعة ذاتية عاجلة.